المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهّار، العزيز الغفّار، مقدِّر الأقدار، الحكيم السَّتّار، خالق اللَّيل والنَّهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي بَعث من خلقِهِ من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفَّق من اجتباه من عبيده فجعله من المقرّبين الأبرار، وبصَّر من أحبّهُ فزهَّدهم في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهّب لدار القرار، واجتناب ما يسخطه، والحذر من عذاب النّار، وأخذوا أنفسهم بالجدِّ في طاعته وملازمة ذكره بالعشيِّ والإبكار، وعند تغاير الأحوال وجميع آناء الليل والنَّهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار.

أَحمده أبلغ الحمد على جميع بلائه ونعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله العظيم، الواحد الأحد العزيز الحكيم، الفرد الصّمد الرَّحمٰن الرَّحيم، وأشهد أنَّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله، وصفِيُّه وحبيبه وخليله، أفضل المخلوقين، وأكرم السّابقين واللاحقين، حامل الرِّسالة، ومؤدِّي الأمانة، صلوات الله وسلامه عليه

وعلى سائر إخوانه النَّبيِّين، وارض اللَّهمّ عن أصحابه، وأنصاره، وأهل بيته الطيّبين الطّاهرين، وآل كلٍّ أجمعين.

وبعد:

إن الأمر الرئيس الذي دفعني للاهتمام بشعر المجاهد الكبير والمحدّث العالم، والفارس الشجاع عبد اللَّه بن المبارك هو ما امتاز به شعره من الحكمة الصادقة، والنصيحة الهادفة، ورسولنا الحبيب ﷺ يقول: «**الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك**»[1].

وصدق ابن القروي حيث يقول:

استقِ الحكمةَ لا يشغلكَ من ... أي ينبوعٍ جرتْ يا مستقي

فشعاع الشمس يمتصُّ النّدى ... من فمِ الوردِ ووحلِ الطرقِ

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: النهج الذي انتهجته وسرت عليه بمشيئة الله جلّ جلاله وبتوفيق منه، وهو إحداث دواوين شعرية للأئمة العلماء، والمسلمين الأفاضل الذين أبدعوا في علوم الإفتاء والحديث والتفسير والتأليف، ولم يعطوا للشعر أهمية كبرى في حياتهم رغم نظمهم الأشعار في حلّ كل مسألة، وفي كل مناسبة، كانت تعترض حياتهم.

فبعد أن وفّقني الله العزيز الكريم إلى جمع أشعار شيخ الإسلام

---

(١) أخرجه ابن عدي في الطبقات، وأبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه، «انظر: الجامع الصغير للسيوطي الحديث رقم ٣٨٢٧».

أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد اللَّه بن أَبي القاسم (ابن تيمية)، وأصدرتهم في كتاب حمل عنوان «ديوان شيخ الإسلام ابن تيمية»[1]، كذلك وفّقت بمشيئة الله إِلى جمع أشعار حجّة الإسلام الإمام أَبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي، وجمعتهم في كتاب أصبح جاهزاً للطباعة.

وها أنذا أضع بين يديك أيّها القارىء الكريم ديوان الإمام الفقيه، والمجاهد الكبير، والعالِم الشجاع عبد اللَّه بن المبارك رحمه الله تعالى. أقدّم لبنة جديدة نيِّرة للمكتبة العربية الإِسلامية، وهو عمل جديد لم أسبق عليه والحمد لله.

وقد قمت بجمع أشعار هذا المجاهد من بطون أمّهات الكتب. والغريب في أمر هذا المجاهد أن العلماء والأساتذة والمحدِّثين الجُدد لم يتناولوا سيرته وشعره وجهاده وأخباره وقصصه، فالمؤلّفات فيه نزرة وشحيحة لذا كان من الصعب علي في جمع كل هذه الأشعار التي أوردتها في كتابي جمعتها من الكتب القديمة جداً والتي يرجع تاريخها إِلى أكثر من خمسمائة سنة وما فوق.

ولم أكتف بسرد الأشعار فقط وتدوينها، بل عمدت أول الأمر إِلى التأكّد من أن هذه الأشعار هي من نظم المجاهد عبد اللَّه بن المبارك أولاً وليس منسوبة أَو منحولة إليه، ومطابقتها مع أشعار له وردت في كتب أخرى، فثبّت في نهاية كل قصيدة مصادر الشعر للأمانة من جهة

(١) قامت دار الجيل في بيروت لصاحبها الأستاذ عبّود عبّود بنشره.

ولدحض الافتراءات على من سيدّعي بأنّها ليست له.

كذلك شرحت غريب كلماتها للتيسير فقط وليست للإطالة وعرّفت بعض الأعلام التي وردت في الشعر أو في كلمات التعريف عن القصيدة.

وقد قسّمت كتابي إلى خمسة فصول:

المقدّمة:

ضمّت مقدّمة المؤلّف، ومقدّمة ثانية هي عبارة عن سيرة الإمام عبد اللّه بن المبارك اختارتها ووقّفت فيها وهي لفضيلة الشيخ المحدّث والمحقّق الهمّام الأستاذ حبيب الرّحمن الأعظمي، ثبّتها في كتابي لجودتها وشموليتها، وكان دوري في مقال أستاذنا الأعظمي شرح غريب الكلمات وتوثيق ما لزم توثيقه فقط.

فالعلمُ ليسَ بنافعٍ أربابَهُ ما لم يفدْ عملاً وحُسنَ تبصّر

الفصل الأوّل:

من أقوال الإمام عبد اللّه بن المبارك، جمعتها من الكتب وهي في منتهى الفائدة إذا ما قيست إلى شعره.

الفصل الثاني:

أقوال العلماء الكبار والمجتهدين الأجلاّء والمحدّثين الأفاضل في إمامنا الجليل، وما رأوه فيه من أدب وعلم وشجاعة وكرم وشهامة وأخلاق.

الفصل الثالث:

جمعت في هذا الفصل خمساً وعشرين قصّة جرت مع المجاهد الكبير عبد اللّه بن المبارك، ووثّقت مصادرها، وشرحت غريب كلماتها، وعرّفت أعلامها وأماكنها، وأعدت صياغتها بشكل حواري جميل شيّق ليسهل على القارىء حفظ هذه القصص والتحدّث بها لأقرانه.

الفصل الرابع:

ضمّ هذا الفصل أشعار عبد اللّه بن المبارك، ونصائحه شعراً وقد يجد القارىء الكريم المرآة الصادقة، والشخصية الصافية لابن المبارك في هذه الأشعار، وقد يستطيع القارىء الذي يندمج في الشعر ويتأثّر به أن يتخيّل صورة وشكل ابن المبارك.

وعلى الرغم من أن أشعار ابن المبارك ليس فيها القصائد الطوال إلاّ أن معظمها معبّر وكامل.

لا تـطـل شِـعـرك وابـذل كـل جُـهـدٍ أن تـجـيـده
رُبَّ بـيـتٍ هـو إن أحـسـ ـنـت خـيـرٌ مـن قـصـيـده

الفصل الخامس:

ضمّ هذا الفصل الفهارس ثبّتُّ فيه فهرساً لأوائل الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في الكتاب وفهرساً لأوائل الأحاديث النبوية الشريفة، وفهرساً للأعلام، وآخر للأماكن، وفهرساً للكتب، وفهرساً للقوافي وأخيراً الفهرس العام أي المحتوى.

لست هنا بالمدافع عن عملي، فالكمال لله وحده.

أسأل المولى عزّ وجلّ أن يسدّد خطانا، ويلهمنا رشدنا، وينفعنا بما علّمنا، إنّه ولي التوفيق.

والحمد لله أولاً وآخراً.

محمّد عبد الرحيم

دمشق في ٤/ جمادى الثانية/ ١٤١٠هـ.

١/ كانون الثاني/ ١٩٩٠م.